فسيفساء قبة الصخرة

دراسة تحليلية

مساعد مدرس
نضال محمد يونس

اهمية البحث والحاجة اليه

يعد الفن والعمارة عامل أساس في حياة الانسان، منذ نشأته الاولى اهتم بالعمارة وتزيينها وزخرفتها حيث اثبت قدرته على الابداع في كيفية صياغة اشكاله التصويرية وتطبيقها في العمارة سواء على الجدران او الارضيات بدقة وجمالية متناهية . فقد اصبح الانسان يعشق الطبيعة ويستلهمها بما فيها من عناصر زخرفية نباتية وهندسية ، ويحاول ان يصوغ من اشكالها ابداعاته التكوينية ليحملها في العمارة وخاصة الزخرفة الفسيفسائية وأصبح يمثلها بدقة ومهارة في اشكال مبسطة من الفنون المختلفة وظل قانون التشذيب ينبوع الزخارف من المواضيع الواقعية الى المواضيع المبسطة المختزلة ولاهمية هذا الموضوع ، قد تناولت الباحثة دراسة تحليلية للفسيفساء في العصر الاموي والتعرف على منشأها وتطورها وأقدمها في الحضارات وكيف استخدمت في العمارة الاسلامية الدينية والمدنية .

اهداف البحث :-

يهدف البحث الى الدراسة التحليلية للفسيفساء قبة الصخرة من خلال :-

التعرف على تاريخها المعماري وتكوينها البنائي .

التعرف على الاشكال الزخرفية من حيث التكوين واللون والمضمون والرمز والأصالة والتقليد .

حدود البحث

دراسة تاريخ الفسيفساء – استخدام الفسيفساء في العصر الاموي .

مجتمع البحث

فسيفساء قبة الصخرة في القدس

تحديد المصطلحات

الفسيفساء : ان الفسيفساء عبارة عن قطع صغيرة الحجم مختلفة الاشكال والألوان مصنوعة من الخزف يتم جمع هذه القطع الصغيرة بعضها الى جانب البعض الاخر وتثبت على الجدران او الارضيات بواسطة الجص او الملاط لتشكيل الموضوع الزخرفي المطلوب[١] .

الزخارف الجدارية: وهي الزخارف المنفذة على الجدران وتتضمن الزخارف الهندسية والنباتية والتي تزين الجدران الداخلية والخارجية للعمارة[٢] .

وتعتبر الفسيفساء في قبة الصخرة هي من اقدم النماذج لزخارف الاموية في بلاد الشام[٣] .

صناعة الفسيفساء وتنفيذها

ان صناعة الفسيفساء تعمل ضمن قوالب معينة على شكل قطع صغيرة الحجم وقد تكون من عدة مواد مثل الزجاج الملون او الحجر او الصدف او الاجر او البلور الملون . وبالألوان المختلفة وقد تصنع على ايدي فنانين ماهرين ذوي خبرة عالية في هذا التخصص. فقد اهتموا بدقة صناعتها بتصغير القطع الى اصغر حجم ممكن لكي تعطي جمالية شكلية ولونية ولتوضيح التفاصيل وعطائها اكثر حيوية وبهجة[٤] .

وكان العراق اول من استخدم هذه الفسيفساء وقام بتصنيعها ثم انتقلت هذه الصناعة الى الأخمينين الذين سكنوا وادي الرافدين خلال القرن السادس ق.م وقد اقتبسوا كثيراً من حضارته ومنها فن التزجيج[٥] ، ثم نقلها الاخمينيون الى اليونان عن طريق البحر الابيض المتوسط في فترة الحرب والسلم[٦] .

الجذور التاريخية للفسيفساء

تعد بلاد وادي الرافدين المصدر الاول في العالم لفكرة صناعة واستخدام الفسيفساء في العمارة[٧]، حيث استخدم من قبل البابليين في تزيين جدران الابنية ذات الرسوم المختلفة من مادة الطابوق المزجج بواسطة المخاريط الفخارية ذات الرؤوس الملونة .

وقد شكلت منها مواضيع مختلفة ذات اشكال زخرفية وهندسية غاية في الدقة والجمال وقد نفذت الفسيفساء على بوابة عشتار وجدران شارع الموكب وقاعة العرش في بابل كما في الشكل (١) وكانت على شكل قطع فخارية مزججة بألوان جميلة تمثل تنيناً وأسداً كما في الشكل (٢) .

كما عثر على قطع من الفسيفساء تعود الى (٤٠٠٠) سنة قبل الميلاد في اورك على جدران معبد الوركاء الخارجية . حيث كانت جدرانه مكونة من مخاريط مصنوعة من الفخار تتراوح طولها من(١٠-١٥)سم ولونت رؤوسها باللون الاسود والأبيض والأحمر وكانت مثبتة على جدران مطلية بالطين وقد نظمت بشكل هندسي جميل كما في الشكل (٣-أ) .

وقد كشفت الحفائر في معبد تل العقير عن جدرانه المكسوة بالفسيفساء ويقع هذا المعبد جنوب بغداد بنحو (٥٠)ميلاً ويعود الى ما قبل العصر السومري[٨].

كما اكتشفت الكثير من اجزاء الفسيفساء وكانت تزين ارضية احد حمامات قصر اكتشف في موقع خوريز في حوض دوكان بقضاء رانية في الشمال الشرقي من العراق وتعود الى نهاية القرن الرابع الميلادي[٩] .

وتعد من النماذج الوحيدة المعروفة في العراق، وقد كانت على شكل مكعبات صغيرة من الحجر الملون وقد تمثلت في اشكال زخرفية كونت منها منظراً طبيعياً ظهرت فيه الاشجار والحيوانات والطيور* .

وعرفت الفسيفساء في سوريا ومصر ايضاً ثم اخذها اليونانيون عن هذه الاقاليم الثلاثة وارتقوا بها الى اعلى الدرجات فكانت الصورة تقسم بالخطوط

الى مربعات صغيرة وكانت المكعبات الرخامية توضع الواحدة الى جانب الاخرى تمثل الصورة التي لم يستطع الزمن ان يؤثر على وظيفتها ولا في الوانها[١٠] .

وقد انتشرت في مصر في العصر الروماني فن زخرفة الارضيات [١١] بالفسيفساء التي عثر عليها في تل ماري بالقرب من الاسكندرية وتمثل هذه الزخارف موضوعات نيلية قد نقلها الرومان الى بلادهم [١٢] كما في الشكل رقم (٤) .

وقد عثر على فسيفساء في جهة شيخ زويره شرق الاسكندرية ويرجع تاريخ هذه الفسيفساء الى الفترة الواقعة من حكم انطويتوس ابتوس ١٢٨م وقسطنطين الثاني ٣٦١م. وانتشرت الفنون الهندسية من الاسكندرية الى مراكزه الاغريقية الاخرى فقد عثر على مجموعة من الفسيفساء وكانت تزخرف المباني في قصر هليستي بزخارف نيلية تتضمن اسماك وطيور ومن اجمل ما عثر عليه في مدينة شرشال من الفنون الرومانية هي زخارف الفسيفساء التي يحتفظ متحف تونس والجزائر بمجموعات كبيرة منها وقد عثر في هذه المدينة ايضاً على فسيفساء توضح بشكل العمائر المدنية الرومانية وقد انتقل طراز الفسيفساء من الاسكندرية الى شمال البلاد التونسية في بداية الامر لذلك كانت الزخارف الاولى تشمل الموضوعات المفضلة في الاسكندرية[١٣] .

وفي بومبي عثر على صورة من الفسيفساء تمثل واقعة ايسوس(٣٣٣)ق.م مكونة من(٥٠٠,٠٠٠) حجر لا تزيد مسافة كل منها

على ملمترين مربعين او ثلاثة ملمترات ويبلغ طول هذه الفسيفساء الكلي ١٦ قدم وعرضها ٨ أقدام وقد الحق بها الزلزال وثوران البركان اللذان خربتا بومبي في عام ٧٩ م ضرراً بليغاً ولكن ما بقي منها يكفي للدلالة على ما كانت تمتاز به هذه الصورة من براعة وقدرة فنية شكل رقم (٥) وشكل رقم(٦) .

وقد عرف القرطاجيون هذا الفن عن طريق اليونان[١٤] في القرن الثالث قبل الميلاد وظهرت فيه اثار فنية في مدينة كركزان وبعض منازل قرطاج القديمة قبل تدميرها وإنشاء مدينة رومانية على انقاضها . وكانت لفسيفسائها طابع خاص فقد كان واضحا على ارضية عثر عليها في منزل تصور قصر وحديقة السيد جوليوس في قرطاج وما تحتويه من مباني وأشجار وحيوانات للقرن الثاني والثالث بعد الميلاد حالياً في متحف باردو في تونس شكل رقم (٧) ، ولا تقل الفسيفساء الجزائرية في مجال الموضوعات عن التونسية حيث عثر على فسيفساء في مدينة لامبيز تصور حوريات على ظهور حيوانات بحرية خرافية كما في الشكل (٩) وفي مدينة تيمغد(الجزائر) شكل رقم (١٠) .

الفسيفساء في الفن البيزنطي (٣٢٦-٥٦٥م) :

حين قويت سوريا واسيا الصغرى نتيجة لما حدث فيها من تقدم صناعي وضعفت روما بسبب الغزو الاجنبي والتقت في بيزنطة مؤثرات الفن الشرقي من فارس ومصر ووادي الرافدين في العبيد في بلاد وادي الرافدين فقد وجد افريز من الفسيفساء في اعلى واجهة معبد نين- حور- ساج يعود الى ٣٠٠٠ ق . م شكل(٣ب)، ووصلت هذه المؤثرات الى ايطاليا وتخلى الفن اليوناني الذي كان يحاكي الطبيعة عن مكانه إلى الفن الشرقي ذي الزخارف الرمزية وكان الشرق يفضل الالوان على الخطوط والأقواس والقباب عن السقف الخشبي والزينة الكثيرة على الابسطة الصارخة وأصبح فن القسطنطينية يرنو الى اسيا الصغرى وأرمينيا وسوريا ومصر فقد نقلها التجار والرهبان والفنانون الى انطاكيا كما في الشكل (١١) والإسكندرية وأتسوس والقسطنطينية ثم نقلوها اخيراً الى رافينا وروما[١٥] واتخذ الفن البيزنطي من الفنون الجديدة كنقوش الاقمشة والفسيفساء ورسوم الجدارية مواضيع تصور حياة المسيح وأعمال الرسل وشهداء المسيحية وصور البعض الاخر تصور الاباطرة وخطت الملابس بصور رمزية او رسوم تاريخية وكانت اياصوفيا[١٦] البداية للطراز المعماري البيزنطي وكان فيها فسيفساء لكل من الجدران والقباب لا مثيل له في جمالها وهي اجمل الكنائس التي بناها جستنيان في حياته أنسوس ورافينا وروما وانطاكيه وبيت المقدس والإسكندرية التي استخدمت فن الطراز الشرقي وهو البيزنطي على الطراز اليوناني – الروماني كما تبدو واضحة في لوحة من من الموزائيك في القصر الكبير منتصف القرن ٦ م في جوجستيان (شكل١٢-١٣) .

العصر الاموي وبدايات الفن الإسلامي

يعد العصر الاموي بداية لنشوء الفن الاسلامي وله اثر كبير في تاريخ هذا الفن[١٧] حيث بدأ فيه اتصال الثقافة الاسلامية بحضارات الدول المجاورة وخاصة الدول البيزنطينية التي ضمت سوريا تحت لوائها . فقد تطورت الفنون المعمارية الدينية والدنيوية بالاضافة الى الفنون التطبيقية الاخرى مثل الخزف والمعادن والنقش على الحجر ، وكان للفسيفساء دوراً كبيراً وحضوراً متميزاً لاستخدامها في العمارة الاموية الدينية والمدنية لتزيين المساجد والقصور ومن اقدم النماذج الاثرية العربية الاسلامية في العصر الاموي قبة الصخرة والجامع الاموي بدمشق على ارضيات بعض القصور مثل خربة المفجر والمنية ويمتاز الطراز الاموي بقوة أسلوبه وتنوع تكويناته و يمتلك أصالة حضارية عريقة وقد ازدهرت في سوريا نهضة حقيقية في القرون الثلاثة (الرابع والخامس والسادس م) في كل المجالات العلمية والأدبية والفنية وبرع فيها الصناع في استخدام الفسيفساء وجميع الفنون الزخرفية والنسيج وشيدت الكنائس التي زينت بالتماثيل والنقوش البارزة[١٨] .

وصل الكثير الصناع الشرقيين من القسطنطينية الى رافنا ودخلت الانماط الشرقية وامتزجت بالأشكال الإيطالية وتبدو في كتبها فسيفساء رائعة تمثل السيد المسيح(ع) في صورة الرأي الصالح (٤٥٠م) .

وفي سنة (٤٥٨م) اضيفت الى مكان التعمير في كنيسة اسيانا سلسلة من الفسيفساء من بينها صورة للرسل وفي كنيسة كيرك باسم القديس ابليتاوس في رافنا وتبدو الفسيفساء وهي تظهر القديسين بثياب بيض وهي بداية الطراز البيزنطي[١٩].

استخدام الفسيفساء في العصر الأموي

استخدم المسلمون الفسيفساء منذ العصر الأول كانت تعد مظهر من مظاهر الجمال التي عرفتها بلاد الشام عبر العصور ما قبل التاريخ وبعدها كان لاستخدامها في العصر الأموي وهذا العصر الذي ابتدأ فيه الفن الإسلامي يرتقي الى أعلى درجات التطور تفوق الى ما عرفته هذه البلاد خلال العصور السابقة فاستخدمت في الجوامع مزينة جدرانها كما في قبة الصخرة (موضوع البحث) وجدران الجامع الأموي في دمشق الذي بناه الوليد بن عبد الملك (٧٠٧ــ ٧١٤م) ٨٨ــ ٩٦هـ (ش١٦) وقد تميزت رسوم الفسيفساء بالواقعية كرسوم الأنهار والأشجار والمناظر الطبيعة المعمارية استخدمت فيها الألوان الأزرق والسمائي والشذري و كان الفنان هنا ميالاً لاستخدام الألوان البراقة المتعددة المنسجمة وقد بلغت (٢٩) لونا مختلفا وتشمل ١٣ درجة من اللون الأخضر و (٤) درجات من اللون الأزرق الذهبي وقد نفذها عمال سومريون كما تقول العالمة الأثرية فان برشم .

كما استخدمت الفسيفساء في تزيين جدران وأرضيات بعض القصور في بادية الشام وفي أرضية حمام (خربة المفجر) الذي يرجع الى عصر هشام بن عبد الملك ١٠٥ــ١٢٥هـ (٧٢٤ــ٧٤٤م) (ش١٧) استخدم فيها الفنان اللون الاخضر والأخضر الفاتح والأزرق المائل إلى الخضرة واستخدم اللون الاحمر لأثمار الشجرة التي تمثل الموضوع الرئيس للوحة . وفي قرية المنية في فلسطين على ارضية احدى قاعات الاستقبال وتمثل زخرفتها اشكالا" هندسية وخطوط مظفورة واستخدم فيها اللون الابيض والأسود والأحمر والأخضر(٢٠).

البناء المعماري لقبة الصخرة

تعد عمارة قبة الصخرة من روائع العمارة الاسلامية بناها عبد الملك بن مروان في (٧٢هـ ـ ٦٩٢م) ومسجد قبة الصخرة جزء من الحرم القدسي الشريف ويضم مسجد عمر الذي يقع في الطرف الشرقي من الحرم.

ويتكون مسجد قبة الصخرة من نطاق مثمن خارجي طول كل الضلع من اضلاعه ٢٠,٥م وارتفاعه ٩,٥م يحيط بنطاقين متداخلين مثمنين ايضًا ينفتحان الى الداخل . لقد وزعت الاعمدة بأسلوب خاص داخل النطاق المثمن الذي يلي الجدران الخارجية بحيث يكون هناك عمودان بين كل كتفين فيصبح المجموع ثمانية اكتاف وستة عشر عمودًا ويلي النطاق الثاني رواق ثم دائرة من الاعمدة والأكتاف تضم أربعة أكتاف و ١٢ عمود حيث يكون بين كل كتفين ثلاثة اعمدة(ش١٨ب).

إن أشكال الأعمدة الرخامية تبدو مختلفة عن بعضها وقد تناولت زخارف تيجانية نظرًا لأنها جاءت من بعض المباني المتهدمة من مناطق مجاورة في اساليبها الزخرفية والمعمارية. وجوانب العقود الشبيهة بحدوة الحصان وبواطنها تغطيها الفسيفساء (ذات اللون الذهبي بالإضافة إلى ألوان أخرى تضم زخارف نباتية تمثل اشجار تحاكي الطبيعة بأوراقها وأثمارها ويبدو فيها عنصر الاكانتس، كذلك استخدام اشكال المجوهرات المتمثلة بالأصداف والأحجار الكريمة أحيانا على هيئة قلائد اضفت على المزهريات الكبيرة المركبة(ش٥) وقبة الصخرة ذات خصائص فنية راقية وإنجاز متقدم في

التصميم والتنفيذ والتنويع بتوزيع الاشكال الزخرفية بأنواعها النباتية والهندسية والخطية وكذلك الرسوم الفلكية .

وقد تميزت في بهائها ورونقها وفخامتها وتناسقها ودقة نسبها لكل من حاول البحث والدراسة عنها من العلماء والباحثين ففي نظر العالم (هارتمان) نموذج من التناسق والانسجام وفي رأي (هيثرلويس) اجمل الآثار التي خلدها التاريخ ويقول فكسون:((إنني لم أرى في حياتي مطلقا" مثل هذه العظمة الساحرة والفتنة الفائقة في البناء)).

فسيفساء قبة الصخرة

دراسة تحليلية

تضمنت قبة الصخرة تنوعًا كبيرًا بأشكال ورسوم نباتية تمثل في صور النخيل والقصب وقد رسمت رسمًا واقعيًا وتظهر رسوم النخيل في الجانب الأيسر والأيمن الداخلي من أحد اكتاف المثمن الاوسط للقبة[٢١].

وقد تدلى من بعض النخيل عراجين التمر ، حيث زينت جذوع النخيل بأشكال هندسية كالمربعات والمستطيلات والنصوص كما في الشكل رقم (١٩) .

وقد ظهرت على جانب الايسر من احد اكتاف المثمن الاوسط شجرة الزيتون وقد تشابكت اغصانها وتكاثفت اوراقها. اما الساق فقد زخرفت بزخارف من اشكال مستطيلات وبيضوية صغيرة تشبه حبات اللؤلؤ (كما في الشكل رقم ٢٠).

فقد رسم الفنانون في قبة الصخرة منظرًا طبيعيًا يمثل مزرعة القصب في جانب رسوم النخيل كما في الشكل (٢١) وقد ظهرت رسوم اخرى في هذه الفسيفساء تمثل أوان لزهور ذات اشكال مختلفة بعضها بيضوي والأخر اسطواني الشكل وقد وضعت بداخل اوراق وفروع نباتية محورة عن الطبيعة كما في الشكل (٢٢) وقرون الرخاء في الشكل (٢٣).

أن الفسيفساء المستخدمة في قبة الصخرة كما ذكر اتكنهاوزن تمثل إنجازًا كبيرًا في ميدان الفنون وتعد أقدم نموذج للزخارف الأموية الأولى لفن

الفسيفساء من حيث ظهور الزخارف القاشانية حول الرقبة من الخارج وفوقها كتابة بالخط العربي لسورة الاسراء لكنها غير كاملة.

وقد أصبحت رسوم الفسيفساء توافق المساحات المعمارية وتؤلف وحدة منسجمة البناء يضاف اليها زخارف من الجواهر واللآلئ غير أن بعض الزخارف النباتية تقترب في هيئتها من بعض الاجزاء من الطبيعة بحيث اصبح اقرب الى صورة الطبيعة منها الى وحدة زخرفية وتقع الرسوم الطبيعية على جوانب الاكتاف الداخلية للمثمن الاوسط حيث المساحات الضيقة والطويلة فأصبحت أشبه ما تكون باللوحات او المصورات وتتألف هذه الرسوم من صور نخيل وأشجار وان جوانب الاكتاف تضمنت رسوم الشجر متأثرة ببعض التقاليد الرومانية حيث كان الفنان الروماني يستخدمها في الحفر على جوانب الالواح الجنائزية والتي كانت تمثل اشجار الزيتون والصنوبر.

تمتاز الصور الطبيعية في فسيفساء قبة الصخرة ببساطتها كونها تعبر عن محاكاة الطبيعة لما فيها من صور لنخيل وأشجار ذات جذوع وسيقان قد رسمت اوراقها بشكل كثيف فقد ابدع الفنان في كيفية صياغتها وتمثيلها فقد نرى ان عناقيد العنب وعراجين التمر قد تدلت مما توحي بثقلها وجمالها.

أيضًا هناك طابع زخرفي قد زين ساق الشجرة او النخلة بفصوص من الجواهر والأشكال الهندسية كالمربعات والمستطيلات وقد تستبدل بعض الاحيان عراجين التمر بحبات اللؤلؤ . فقد رسمت الفاكهة باللون الذهبي

البراق كي تضيف لها رونقا" وجمالا وكذلك تنتشر بين الاغصان نصوص مذهبة او مفصصة أيضًا تضيف لها صفة جمالية اخرى.

وتوجد صورة نخلة رائعة في فضاء قبة الصخرة نشاهد بان النخلة اكثر تحويرا" وزخرفة لان جذعها طويل ورشيق وقد زخرفت بوريدات ذات نصوص ثلاثة كما ان جريد السعف كان بلون ذهبي وقد تدلت منه سعفتان حول عرجون التمر رسمًا بأسلوب زخرفي محور وقد حدد بخط اسود يحف بلون ذهبي وقد رسمت زيتونة الى الجانب الايسر من الكتف وقد تشابكت اغصانها وتكاثفت اوراقها وان بعض الفصوص طويلة وباللون الفاتح. وقد رسم في الجانب الايمن الداخلي لأحد الأكتاف المثمن الأوسط نوع آخر لشجرة يمتاز هذا الرسم بجودة الالوان والتكوين حيث رسم غصن من الاغصان الذهبية متداخلتين و ومنحنيتين برشاقة وقد تفرغت منها اغصان اخرى كانت بلون ذهبي ايضا" فقد كانت فوق الاوراق المتكاثفة الاخرى ذات اللون الاخضر والأزرق.

تشغل الرسوم الفسيفسائية لقبة الصخرة في القدس مساحات واسعة من عقود الرواقين ورقبة القبة. (ش٢٤، ٢٥).فقد كونت علاقات تشكيلية جميلة ومن هذه العلاقات الصيغة الواقعية في رسوم النباتات والأشياء والرقش العربي في حركة النباتات وزخرفة الاشياء التي تعطي صورة اكثر تعقيدا" بتشكيلاتها وتنوعها من زخارف المسجد الاموي التي اتسمت ببساطة العنصر وحركته . هذه الزخرفية المفرطة في الغنى هي نتاج منوع

في الوحدات الزخرفية النباتية والهندسية ولا شك في ان هـذا التنـوع كان عاملاً" هاما" في التعقيد الحركي المنظور للرقش العربي(٢٢).

إن رسوم الأشجار المتقنة والتشكيلات النباتية لابد ان يكون لها اهميـة حقيقية حيث إنها تسر الكثيرين عند مشاهدتها. فالمعنى المفرط في التصميم مع اضافة الحلي المطعمة في أماكن عديدة قد تستهوي وعلى نطاق واسـع الاحساس الفني العام للسادة الجدد .

فبالنسبة الى الكثيرين كانت هذه الزخارف تمثل الرخاء المفـرط بنظـر الآخرين فمن المحتمل ان تكون الاشجار والفواكه والأشـكال النباتيـة قـد ايقظت الإحساس السار الذي تثيره الأراضي الخصـبة أو إحـدى الواحـات روجت هذه الأحاسيس وكانت هذه الزخارف ذات وحدات متنوعة ومتناغمة اضافة لشكلها وحركتها في إيقاع الوحدات الزخرفية الغنية في تكوين هـذه الوحدة. حيث استخدمت في قبة الصخرة مختلف أنواع الزخارف المشـتقة من اوراق النباتات والثمار والزهور وكانـت اوراق الاكـانتس . العنصـر الزخرفي الاكثر حضوراً وإثارة ضمن الوحدات الزخرفية .

فاستخدام النخلة في فسيفساء قبة الصخرة وشجرة الزيتون لها أهميـة كبيرة لقدسية هاتين الشجرتين . خاصة النخلة التي تعد اكثر قدسية من أي شجرة اخرى فهي التي أظلت السيدة مريم(ع) عند ولادتها للسيد المسيح(ع) وأكلت من ثمارها. وقد استخدمها المسيحيون في الفسيفساء الـذي زينـت جدران كنائسهم في رافينا(شكل ٢٦) وتاريخهـا(٥٢٦م) كما تبدو فـي فسيفساء القصر الملكي في بالرمو وفي صقلية وتعود الـى القـرن الثـاني

عشر الميلادي (ش٢٧أ)و(٢٧ب) وقد استخدمت المزهريات هنا بشكل مركب مع عناصر زخرفية اخرى فأوراق الاكانتس والمراوح النخيلية وقرون الرخاء مزنية بأحجار كريمة ملونة وأصداف كما في الشكل (٢٨ و ٢٩).

وشاع استخدام المجوهرات كحلية وزخرفة في الشرق واعجب بها البيزنطينيون واستخدمت في تجميل ملوكها ونبلائها. وكما تبدو في لوحات كنيسة سانت فيتال في رافنا (٥٤٧م) حيث تمثل الإمبراطور جستنيان مع حاشيته كما في الشكل (٢٦و٣٠) والإمبراطورة تيودورا مع وصيفاتها (شكل ١٥). وهنا تصنع هذه المجوهرات على هيئة قلائد تحيط بأعناق المزهريات او تحيط بأبدانها بشكل إبداعي مدروس بدقة من قبل الفنان العربي المسلم .

ان الاكانتس هو عنصر نباتي استخدمه الاغريق ثم اقتبسته مصر في عهد الاقباط بعد ان طوروها فأصبحت ذات أطراف مدببة بعد ان كانت منحنية ثم اقتبسها الفن الاسلامي بعد ان ظهر البعض منها بشكل متطور جداً كما يبدو في (ش٢٨) اما في (ش ٢٣) فتبدو في قاعدة الشكل وكأنها مزهرية منبثق منها قرون الرخاء وأنصاف مراوح نخيلية المحققة بصيغة الرقش العربي وهذا التنويع تنسحب على المجموعات اللونية الباردة والحارة بدرجاتها المتنوعة بقي ان نشير الى الانسجام العجيب بين العناصر الواقعية (الادوات والنباتات) وبين العناصر التجريدية (الزخارف

النباتية والهندسية) وهذا الانسجام يعود اساسا الى جذور الزخارف المستمدة من العناصر الواقعية .

ان فسيفساء قبة الصخرة بما تحمله من رموز ومضامين قد اخضعت التأثيرات البيزنطية والشرقية بما يتفق مع الصيغة الجديدة التي يتميز بها التصوير العربي الاسلامي وضمن طراز فني له اسسه وجمالياته وفلسفته وخاصة في الفن الإسلامي فمصدر جمال كثير من الاشياء مستمدة من الوانها وتكويناتها فلها قيمة خاصة في العمل الفني من حيث القيمة اللونية الرمزية كما ذكر هربرت ريد إن استعمال اللون بقصد تصوير الواقع يكون له اعتبار ثانوي حيث استعمل اللون الذهبي بكثرة في الفن الاسلامي لأنه يسلب الأشياء أجسامها فله بريق سحري من شانه ان يخرج الانسان من الواقع الارضي ويرفعه الى السماء او الجنة ، فهي غاية من غايات العقيدة الاسلامية . ويعتبر لون نادر ولا يشاهد في الطبيعة .

وقد استخدمت في تلوين زخارف الفسيفساء الوان مختلفة تنتهي باللون الازرق بدرجاته الأسود والأخضر وألوان أخرى تميزت بها الأحجار الكريمة (اللون الأحمر والأخضر والأبيض).

الهوامش

١. د. عبد العزيز حميد – واخرون ، الفنون الزخرفية العربية الاسلامية،وزارة التعليم العالي والبحث العلمي،لسنة ١٩٨٢،ص١٦ .

٢. مرزوق ، محمد عبد العزيز ، الفنون الزخرفية في المغرب والاندلس ، ص٧١-٧٢ .

٣. د. عبد العزيز حميد – واخرون ، الفنون الزخرفية العربية الاسلامية ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. لسنة ١٩٨٢، ص٥٨ .

٤. د. عبد العزيز حميد ، واخرون ، الفنون العربية الاسلامية ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، لسنة ١٩٧٩ ، ص١٠٣-١٠٤ .

٥. د. عبد العزيز حميد ، واخرون ، الفنون الزخرفية العربية الاسلامية ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، لسنة ١٩٨٢ ، ص٥١ .

٦. د. فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر الاسلامية ، المجلد الاول ، ص٨١ .

٧. ستيون لويد ، اثار بلاد الرافدين في العصر الحجري القديم حتى الاحتلال الفارسي ، ترجمة سامي سعيد الاحمد ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، لسنة ١٩٨٠ ، ص٥٤-٥٥ .

٨. شريف يوسف ، تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، السلسلة الفنية (٩) ، دار الرشيد ، ١٩٨٢ . ص٥٩ .

٩. خالد خليل حمودي الاعظمي ، الزخارف الجدارية في اثار بغداد ، لسنة ١٩٨٠ ، ص١١ .

١٠. اقامت مديرية الآثار العامة في العراق بإجراء تنقيبات في مواقع متعددة من مشروع سد دوكان قبل ان تغرقها المياه سنة ١٩٥٨، وقد عثر على تل (خويريز) قرب قرية كوئل على بقايا من ارضية تزين بالفسيفساء ونقلت بعض أجزائها إلى بغداد وبعد معالجتها في المختبر تم عرضها في القاعة الساسانية في المتحف العراقي .

١١. د. فرج بصمه جي ، كنوز المتحف العراقي ، ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م ، وزارة الاعلام ، سلسة ١٧ ، مديرية الآثار العامة ، بغداد ، ص٧ .

١٢. د. عبد العزيز حميد ، واخرون ، الفنون العربية الاسلامية ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، ص١٠٤ .

١٣. نعمت اسماعيل علام ، فنون الشرق الاوسط ، من الغزو الاغريقي حتى الفتح الاسلامي ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٧٤ ، ص٢٦ .

١٤. ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ج٣، المجلد الثاني، ص١٢٤.

١٥. نعمت اسماعيل علام ، فنون الشرق الاوسط في الغزو الاغريقي حتى الفتح الاسلامي ، دار المعارف بمصر . سنة ١٩٧٤ ، ص٤٣-٤٥

١٦. ول ديوارنت ، قصة الحضارة ، ج٣ ، المجلد ٣ ، ص٢٦٤ .
١٧. د. محمد عبد العزيز رزوق ، قصة الفن الاسلامي ، مكتبة انجلو المصرية ، ط١ ، لسنة ١٩٨٠ ، ص٥٧ .
١٨. نعمت اسماعيل علام ، فنون الشرق الاوسط في العصور الاسلامية ، دار المعارف بمصر ، ط٣ ، ص١٤٤ .
١٩. ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ج٣ ، المجلد الثالث، ص٢٧٠.
٢٠. د. محمود ابراهيم حسين ، تاريخ الفن الاوربي ، مكتبة النهضة الشرقية ، جامعة القاهرة ، لسنة ١٩٨٤ ، ص٦٠ .
٢١. د ــ عزيز حميد ــ د . صلاح العبيدي د. احمد قاسم ص ٦٢.
٢٢. د. عبد العزيز حميد واخرون ــ الفنون الزخرفية العربية الاسلامية بغداد لسنة ١٩٨٢ ص٥٩ .
٢٣. (٢) رتشارد اتكنهاوزن ــ فن التصوير عند العرب ــ ترجمة د . عيسى سلمان و طه التكريتي ، ص ٦٠ .
٢٤. أبو غازي –بدر الدبين–الحياة التشكيلية –العدد٣ مجلة فصلية تصدرها وزارة الإعلام والارشاد –القاهرة – ص٧

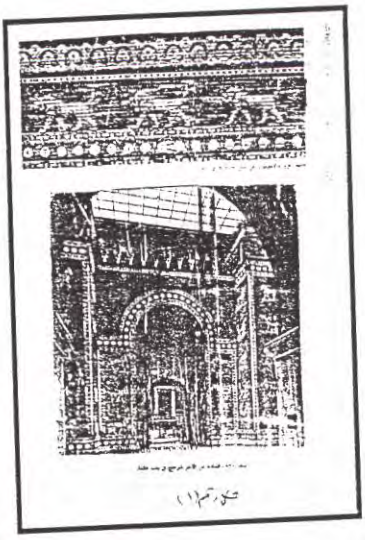

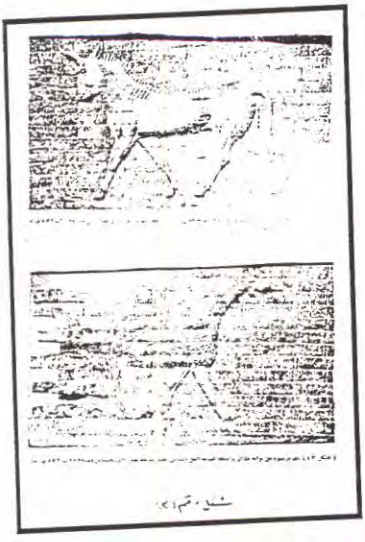

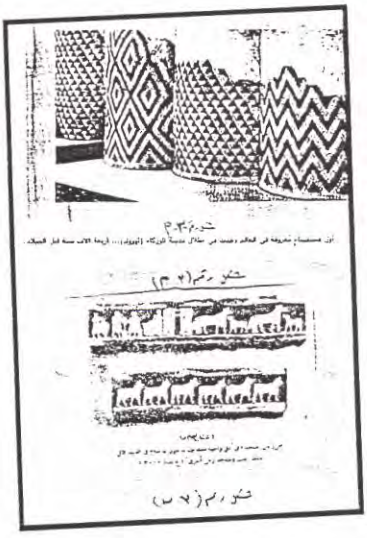

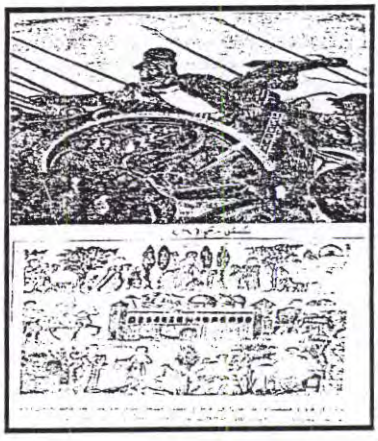

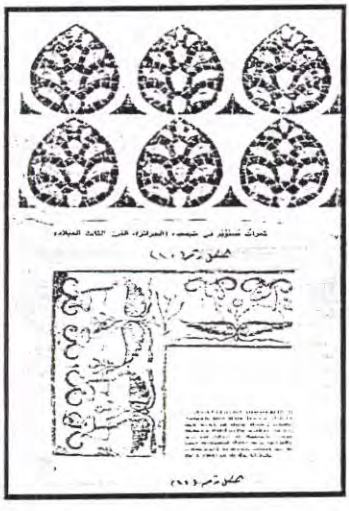

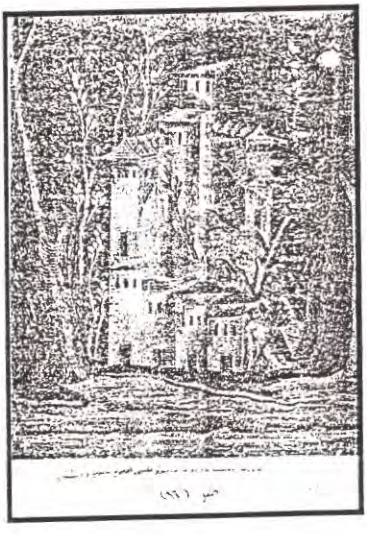

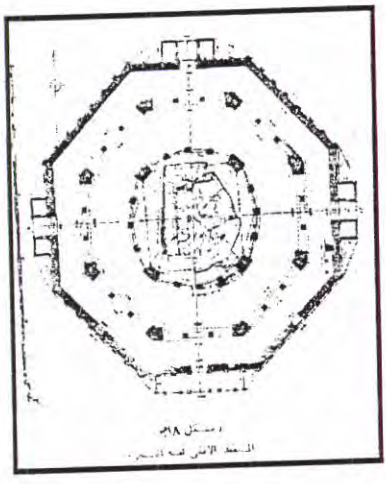

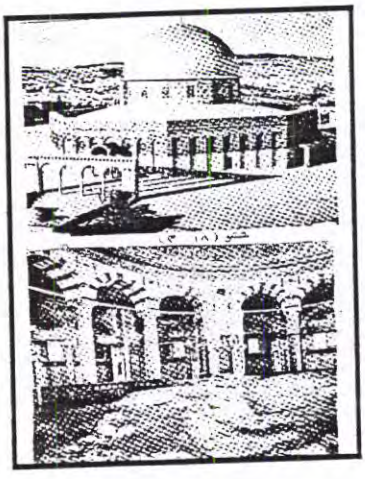

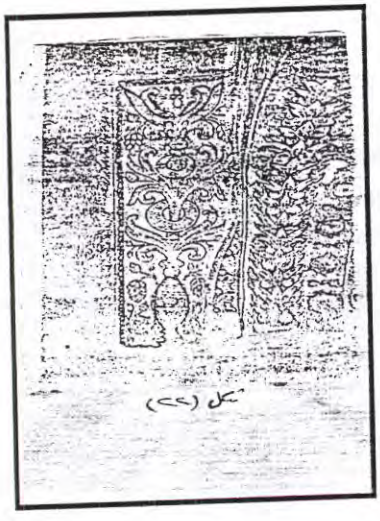

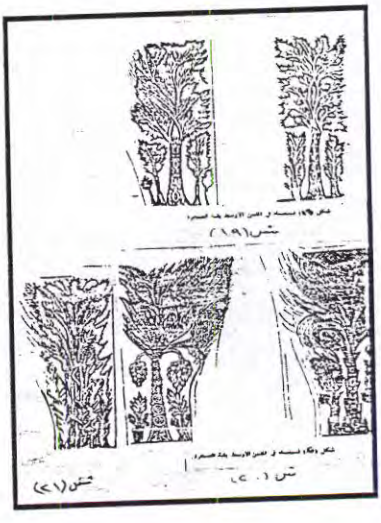

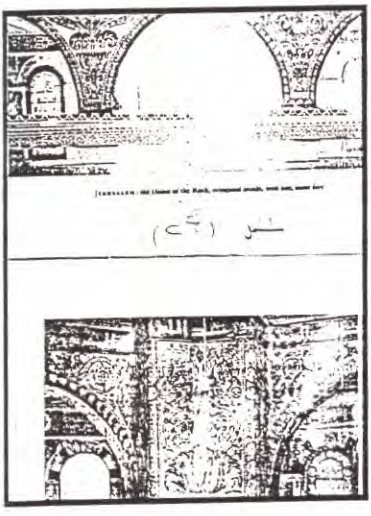

شكل (٦)

شكل (٥)

شكل (٧ م)

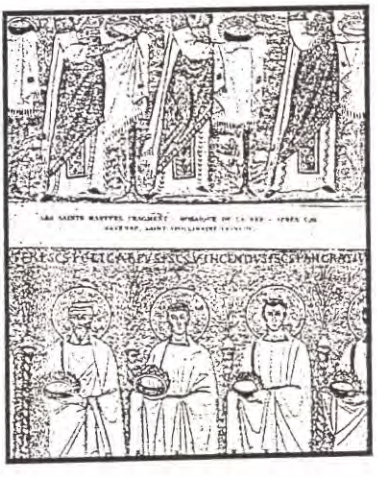

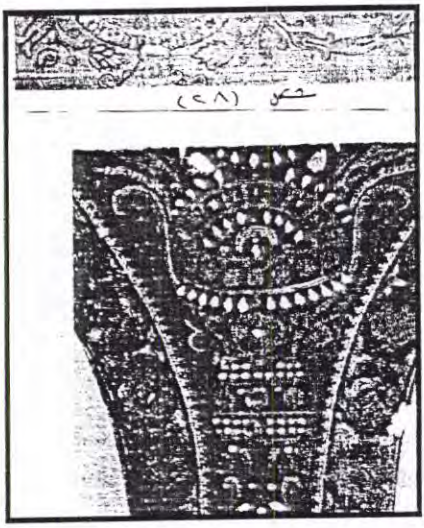

شكل (٢٨)